رد بعض المذاهب الكبرى إلى أصول فى الحكمة الشعبية . إن الفلسفة حركة فكرية طبيعية قبل أن تكون معرضاً لفظياً لمصطلحات مبتسرة ، وهى بهذا المعنى بسيطة كما رآها ديكارت وغير واحد من فلاسفة الفرنسيين .

وفيما أنا مشغول بالتفكير فى هذه المحاولة ، أقرأ رسالة صغيرة أهداها إلينا أستاذنا الدكتور عثمان أمين [1] يحلل فيها خصائص العقلية الفرنسية ، إذا بى أجد ما يؤيد محاولتى . وكم كان سرورى عظيما عند ما بلغت قوله : « ليست عبقرية الفلاسفة والمفكرين الفرنسيين إلا كمال ذلك المعنى الذى نجده متحلياً عند فلاحى فرنسا ملموساً فى أعمالهم اليومية . »[2] وعند ما ورد مع « برجسون » « ليس هنالك فكرة فلسفية مهما يكن حظها من العمق والدقة إلا ويستطاع — بل يحسن — التعبير عنها بلغة الناس المتداولة البسيطة . » ومع « بوالو » :

« إن ما أجد تصوره استطعنا أن نعبر عنه تعبيراً واضحاً ، وجاءتنا الألفاظ عنه طائعة مختارة . » وعند ما علق على قول برجسون وبوالو بعبارة ساخرة تحفزنى إلى المضى فى طريقى وتعتبر خير سند لفكرة التقريب بين عقول الفلاسفة وعقول المستنيرين من البشر : « ليست كل المياه اللوثة بالطين مياهاً عميقة ، ولا كل المياه الصافية مياهاً سطحية » . [3]

لست إذن أدعو إلى المستحيل ، ولا أنا أطلب بدعاً ، فالفلاسفة الفرنسيون أنفسهم مهدوا السبيل أمامنا فلم يشحنوا مؤلفاتهم بتلك المصطلحات الفنية التى تعتبر ستاراً سميكاً يحول بين الكثيرين وبين فهمها ، بل عرضوا أفكارهم فى بساطة ووضوح ، ولم يعمدوا إلى غموض هو كما قال برجسون : « فى منزلة القناع يلقيه المؤلف على فكر لم يوفق بعد إلى أن يستبين ذاته تمام الاستبانة . » وتوجهوا بفلسفتهم إلى الجمهور كله بل إلى الإنسانية جمعاء ؛ ذلك أن الفلسفة فى رأيهم حق للبشر جميعاً ، وليست امتيازاً لطبقة على أخرى . وعلىّ بيان ذلك فى العدد القادم إن شاء الله .

(الاسكندرية) عبد المنعم الليثى

(١) خصائص الروح الفرنسى
(٢) صفحة ١٦
(٣) صفحة ١٠

دخـــان ولهب

للأستاذ إبراهيم الوائلى

لا تخلها — وهى تذكو شعلاً — بيت كرم إنها كانت ضراما
كلما أفرغتها فى كبدى غادرتها بين أضلاعى حطاما

قد عصرت الروح فى الكأس ومن
قلبى الشعوب ذوبت الحبـــب
وجعلت اللحن فى صدرى أسى فإذا اللحن دخان ولهب
وترامیت على وقد الجوى مثلما يلقى على النار الحطب

أتراني — ولقـــد ودعت أمسى
ودفنت اللحن فى ظلمة يأسى —
أبعث الأنغام أو تعذب كأسى ؟

لا وعينيك فما غرى سوى قطرات لم تكن إلا ضراما
وفؤادٌ لم يكن إلا صدى لرنين صيَّر القلب حطاما

يا حبيبى إنَّ لحناً مرَّ فى شفتى بالأمس قد عاد خيالا
وربيعاً كان مفتان الرؤى لا أرى منه على السفح ظلالا
وغديراً كم بثغناء الهوى كفنته الريح شوكاً ورمالا

أتراني — ولقد بات نشيدى
همسة ترقد فى الماضى البعيد
أجتنى الخمرَ على رنة عودى

لا وعينيك فما لحنى سوى قطع بنغمها الصدر ضراما
وشعاع الكأس ما كان سوى لهب قد صيَّر القلبَ حطاما

إيه يا أيامى اللائى مضتْ وتلاشتْ فى زوايا الأبد
هل يعود اللحن مرنان الصدى وتمسُّ القدح العذب يدى ؟
كلما قلتُ : ستخبو جذوة أيقظتها أختها فى خفقتى

آه ما كأسى ، ما عودى وفنى
غير أحلام توارتْ خلف دجن
يا حبيبى لا تسلنى أينَ لحنى ؟

إنَّ أنغامى فى ليل الأسى لم تكنْ إلا دُخاناً ولهبا
وبقايا الكأس ما كانت سوى حرق صيَّرت القلبَ حطاما

ابراهيم الوائلى